الغزو الثقافي للعالم الإسلامي ٤

محنة المسخ الحضاري والموقف الشرعي من الغزو الثقافي

العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي

إعداد وتحقيق: د. الشيخ حسين اليوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: محنة المسخ الحضاري والموقف الشرعي من الغزو الثقافي
تأليف: آية الله العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي
إعداد وتحقيق وتصحيح: الدكتور الشيخ حسين اليوسف
الطبعة: الأولى، ٢٠٢٥م
نشر: مؤسسة حفظ ونشر تراث العلامة الآصفي
البريد الإلكتروني: m.m.alasefi@gmail.com

الفهرس

كلمة المؤسسة ٧

محنة المسخ الحضاري

تخلف أم مسخ حضاري؟ ١١
العلاقة بين المدنية والحضارة ١٢
أشكال الحضارة ١٥
الشكل الأول: الحضارة الأصيلة ١٥
الشكل الثاني: الحضارة المستورَدة ١٥
أبعاد محنة المسخ الحضاري ١٦
خصائص مجتمع الاستهلاك ١٨
الخاصية الأولى: مسخ الشخصية المسلمة ١٨
الخاصية الثانية: ازدواجية الشخصية المسلمة ٢٠
الخاصية الثالثة: الابتلاء بعقدة الضعف وتحقير الذات ٢١
الخاصية الرابعة: استيراد جيش من المستشارين والخبراء الأجانب ٢٢
العملية الجراحية لمحنة المسخ الحضاري ٢٣

الموقف الشرعي من الغزو الثقافي

مشكلة الغزو الثقافي ٢٥
موقف الفقهاء من الغزو الثقافي ٢٦
البحث الفقهي الفني خارج عن محل الكلام ٢٧
الخطاب موجّه إلى مَن نتفق معه في الرؤية ٢٧
الغزو الثقافي لا يقتصر على كتب الضلال ٢٨

الموقف من الغزو الثقافي ٢٨
المنطق الأول: منطق الانفتاح ٢٩
مبررات هذا المنطق ٣٠
المنطق الثاني: منطق فرض الرقابة ٣١
الإسلام يقف ضد التخريب الثقافي ٣٢
موقف الإسلام من الثقافة المستوردة ليس استبداديًا ٣٣
حوار ولقاء أم انفتاح واستسلام؟ ٣٤
المسؤول عن توفير الأمن الثقافي ٣٦

الملحقات

الملحق (١): دول الخليج والإنتاج الواحد ٣٩
الملحق (٢): سوريا والمطامع الاستعمارية ٤٢
الملحق (٣): مسألة (الغزو الثقافي) ليست فقهية محضة ٤٥
الملحق (٤): المناعة الثقافية وآلياتها ٤٧
المنطق الصحيح ٤٧
المناعة الثقافية (المنبر نموذجًا) ٤٧
دفع شبهة ٤٩
آليات استرجاع وتحسين دور المنبر ٤٩
نماذج يُحتذى بها ٥٠
لا منافاة بين المناعة الثقافية والعلم ٥١
لزوم السعي للاستقلال العلمي ٥٢

فهرس المصادر

كلمة المؤسسة

بين يدي القارئ العزيز سلسلة من حلقات أطلقنا عليها اسم (سلسلة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي) جمعنا فيها ما وجدناه في تراث العلّامة الشيخ الآصفي﵀ حول هذا الموضوع.

إنّ من أهم الأخطار التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم هو الغزو الثقافي أو ما يسمى اليوم بـ (الحرب الناعمة) إن لم نقل هو أخطرها على الإطلاق، فالغزو والاحتلال العسكري واضح وبيّن للجميع؛ لذلك تتم مواجهته بالأدوات والوسائل اللازمة والمباشرة حين توفّرها وحين توفّر ثقافة الجهاد ومواجهة الاحتلال، وبكل الأحوال فإن هذا النوع من الغزو جليّ وواضح بحيث يمكن الإشارة المادية والحسية إليه، وبالتالي إدانته ورفضه من قبل بعض الجهات المتضررة منه على أقل تقدير، بينما عندما يدخل الغزو والتخريب الثقافي إلى بلادنا، فإنه يدخل بطريقة لا مواجهة ولا خشونة فيها وسَلِسَة وناعمة وبعناوين برّاقة وبأدوات ووسائل متطورة، فإذا لم يكن الإنسان المسلم واعيًا ومتنبّهًا لطرق وأخطار هذا الغزو، وكانت ثقافته الإسلامية ضعيفة وضحلة، فسوف يقع في شِراك هذه المصيدة، كما حصل ووقع فيها الكثير من شبابنا إلى اليوم.

لقد اخترقت الثقافة الغربية والمعادية للإسلام بل للإنسانية جمعاء البيت المسلم ودخلت إلى عمقه؛ حتى إلى مضجعه ومخدعه الذي يعتبر أحد أهم خصوصيات الإنسان التي لا يجوز لأحد أن يطّلع عليها أو يخترقها في كل الأعراف والشرائع، فكشفته وعرّته من مبادئه وقيَمه وإنسانيته، واتجه نحو الحيوانية التي أرادها له الغرب. وعندما يفقد المسلم مبادئه وقيمه وإنسانيته، يصبح لقمة

سائغة يسهل افتراسها والسيطرة عليها؛ لذلك نجد اليوم أنّ الغرب وعلى رأسه الشيطان الأكبر أمريكا، لم يعد بحاجة إلى الغزو العسكري للسيطرة على ثروات المسلمين طالما سيطر على عقولهم ونُخبهم.

والشيخ الآصفي رحمه الله لم يكن بعيدًا وغافلًا عن مثل هذه المخاطر التي عاصر بداياتها، فأخذ على عاتقه، ومن باب تحمّل الوظيفة الشرعية المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التصدي لبيان مخاطر الغزو الثقافي وأدواته وطرق مواجهته.

ونحن بدورنا وإكمالًا لهذه المهمة التي قام بها الشيخ رحمه الله، وسعيًا منّا في نشر تراث هذا العَلَم الكبير، قمنا بما يلي:

١. تجميع كل ما توفر لدينا من آثار الشيخ رحمه الله المتعلقة بهذا الموضوع؛ سواء المقروءة منها أو المسموعة أو المرئية، وتأليف المباحث وضمها إلى بعضها وترتيبها وحذف المكرر منها بحيث تشكّل لدينا سلسلة حلقات لتخرج بهذا الثوب وهذه الحلّة التي بين أيديكم.

٢. إعادة تبويب وترتيب وصياغة بعض العناوين والمباحث.

٣. تحقيق وتخريج المصادر وتصحيحها وتدقيقها.

٤. تصحيح المتن وتدقيقه نحويًا ولغويًا وطباعيًا.

٥. التعليق على بعض العناوين والمباحث والاصطلاحات وشرحها وتوضيحها حيث يجب ذلـك مع التعريف بالمصادر المختصة بالموضوع.

٦. هناك بعض العناوين والمباحث تم توضيحها تحت عنوان مستقل في قسم الملحقات لاحتياجها إلى توسّع لا يتّسع له هامش المتن

الأصلي؛ لذا فإنّ كل العناوين والأبحاث التي تم طرحها وبحثها في قسم الملحقات من كل حلقة هي من المحقق وليست للمؤلف.

٧. إعداد فهرس خاص بالمراجع والمصادر لكل حلقة من السلسلة مع بيان هوية المصدر بشكل كامل ومفصّل ليسهل على القارئ الرجوع إلى المصادر ذات الصلة والتوسّع في المطالعة والبحث.

فكانت هذه السلسلة التي نرجو أن تنال إعجابكم، وتحقق الأهداف المرجوّة منها، طالبين بذلك رضا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام.

ونضع هنا بين أيديكم الحلقة الرابعة من هذه السلسلة.

مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي رحمه الله

محنة المسخ الحضاري

تخلف أم مسخ حضاري؟

من حيث المنطلق الفكري، أنا أختلف مع ندوة (أزمة التطور الحضاري)[1]، ونقطة اختلافي معها أنني أعتقد أنّ حضارتنا في البلاد الإسلامية تعاني من محنة المسخ واقعًا. بينما انطلقت ندوة أزمة التطور الحضاري من منطلق مقابل تمامًا، وهو أنّ مواكبة الركب الحضاري هو التطور، وحضارتنا تعاني من أزمة التخلف، كأنما هنالك تحول وتبدل حضاري حدث في بلادنا الإسلامية من يوم اتصلنا بالغرب، وبناء على المنطلق الذي انطلقت منه الندوة، فإن هذا التحول يعتبر ضعيفًا ويعاني من الضعف؛ حيث لا يمتلك مقومات الحركة والمرونة الكافية للانطلاق والتطور، وأنا أعتقد بنقطة مقابلة ومخالفة لذلك تمامًا.

إننا يوم اتصلنا بحضارة الغرب وبدأت العلاقة بيننا وبين حضارة الغرب، بدأت محنتنا، وأي محنة!! إنها مسخ حضاري بكل ما للكلمة من معنى، فالغرب مسخ حضارتنا مسخًا، فكانت حضارتنا حضارة مسخ ومشوهة. وهنا أسارع فأقول أنا شخصيًا لست من دعاة التاريخ وأن نستعيد التاريخ، لا أعتقد أنّ ما جرى في التاريخ الإسلامي خيرٌ كله، وأنّ ما جرى في الحضارة الإسلامية إسلام كله.

أعتقد أنّ في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جزء يسير من الإسلام والشيء الكثير من الجاهلية؛ فعندما أقول إنّ حضارتنا مُسخت، لست أدعو

---

١. من كلمة ألقاها سماحة الشيخ ﷾ في ندوة ثقافية تحت عنوان (أزمة التطور الحضاري أزمة تخلف) بتاريخ ١٩٧٤/٠٥/١٦.

إلى استرجاع أو استعادة التاريخ الحضاري عندنا وأدّعي أنه كان نموذجيًا، لست حَسَن الظن بالتاريخ الذي سبق، ولا أعتقد أنّ ذاك التاريخ يحمل كل خصائص الحضارة الإسلامية؛ سواء في أواخر العصر الأموي أم في أواسط العصر العباسي الذي يسمى عادة بـ (العصر الذهبي). أنا لست حَسَن الظن بهذا العصر ولا أعتقد أنه يحمل خصائص الحضارة الإسلامية.

إذًا؛ حينما أقف هذا الموقف من المسألة الحضارية، لا أريد بذلك أن أسترجع وأستعيد التاريخ أبدًا ومطلقا، ومع ذلك أقول إنّ المنطلق الذي انطلقت منه ندوة (أزمة التطور الحضاري أزمة تخلّف) لا أوافق عليه، وأنا أعتقد أنّ ليس هنالك ما يسمى بـ (أزمة تخلف)، وإنما هناك شيء يسمى بـ (محنة مسخ)، والفرق كبير بينهما؛ لأنه إذا كانت المسألة مسألة أزمة تخلف، فحضارتنا حينئذ تشكو من التباطؤ، ويكفيها علاج يعطيها السرعة، أو هي مريضة، فيكفيها علاج يعطيها القوة. لكنني أعتقد أنّ حضارتنا مُسخت وشُوهت وبحاجة إلى عملية جراحية وليست فقط مريضة وبحاجة إلى صحة ومعالجة طبية.

المريض إذا كان مريضًا تكفيه وصفة طبية، وحضارتنا ومجتمعنا ليس مريضًا فحسب كما انتهت إليه ندوة أزمة التطور الحضاري، لا؛ حضارتنا مسخت وينبغي أن نجري لها عملية جراحية من الأعماق، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]؛ أي أن يُقدموا على بدء عملية تحويل وتطوير وتبديل نفسي، أستطيع أن أعبّر عنها بعملية جراحية من الأعماق أو في الأعماق بدءًا من المحتوى والمضمون النفسي وصولًا إلى المنطلقات الاجتماعية.

العلاقة بين المدنية والحضارة

لكي نبحث وندرس مسألة ومحنة المسخ الحضاري التي نعاني منها، أنا

١. الرعد: ١١.

أعيد ذاكرة الإخوة الذين حضروا بعض المحاضرات إلى العلاقة بين الحضارة والمدنية، ونقصد بالمدني الشكل المادي من الحياة، فكل شكل مادي من الحياة مدنية؛ الطائرات والمطارات والإضاءة والصحافة والسينما والقصة والقواعد العسكرية، كلها مدنية، والقواعد الخلفية التي تقوم عليها هذه الأشكال المادية من الحياة حضارة.

القاعدة التي تقوم عليها السينما وهي اللهو حضارة. أما القاعدة الحضارية التي يقوم عليها المسجد، فهي عبادة الله سبحانه وتعالى والتوجه إليه وتوحيده، فالمسجد والكنيسة مدنية والتوحيد حضارة. القواعد العسكرية الضخمة مدنية والاعتبار أو الدفاع عن النفس أو مقاومة الاعتداء ومكافحة الاعتداء حضارة. المدرسة مدنية والدراسة وطلب العلم حضارة.

وبإجمال، الأشكال المادية من الحياة مدنية، والقواعد الخلفية التي تقوم عليها هذه الأشكال المادية من الحياة حضارة، وهناك لا شك علاقة بين الحضارة والمدنية؛ فالحضارة تعطي مدنية والمدنية تعطي حضارة، الحضارة تكوّن مدنية والمدنية تكوّن الحضارة.

عندما جاء الإسلام، جاء بحضارة التوحيد، ومثال حضارة التوحيد المسجد.

جاء بحضارة العلم، وحضارة العلم المدرسة، (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) حضارة وقيمة حضارية عليها أقيمت مدنية المدارس.

الإسلام جاء بقيمة حضارية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1]، فالتعاون على البر والتقوى قيمة حضارية عليها أقيمت مدنية مستشفيات وجمعيات خيرية.

القوة قيمة حضارية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[2]، (مِن قُوَّةٍ) قيمة

١. المائدة: ٢.

٢. الأنفال: ٦٠.

حضارية عليها أقيمت مدنية القواعد العسكرية، وقد ذكر لنا التاريخ الإسلامي الأساطيل الحربية التي كانت تقوم بالجهاد.

إذًا؛ الإسلام جاء بقيم حضارية، وهذه القيم الحضارية صنعت مدنية. كما أنّ العكس صحيح أيضًا؛ إنّ المدنية تصنع الحضارة؛ فعندما يأتينا الراديو، يأتينا مع الراديو اللهو، وعندما تأتينا الصحافة، يأتينا مع الصحافة الخلاعة، وعندما يأتينا التلفزيون، يأتينا معه اللهو، فكما أنّ الحضارة تصنع المدنية؛ كذلك المدنية تصنع الحضارة. هذا التفاعل بين المدنية والحضارة شيء قائم على امتداد التاريخ.

هناك تفاعل وتعاطٍ مستمر بين الأشكال الحضارية والأشكال المدنية؛ فالحضارات تصنع مدنيات والمدنيات تصنع حضارات. طبعًا؛ المسألة ليست مسألة البيضة والدجاجة بحيث لا نهاية لها، البيضة تكون من دجاجة والدجاجة تكون من بيضة وهكذا.. العلاقة بين الحضارة والمدنية ليست على هذا النحو؛ أي أنّ الحضارة تكون من المدنية والمدنية تكون من الحضارة، المسألة ليست من هذا القبيل؛ بل القاعدة الأساسية هي الحضارة، ولكن المهم أنّ هنالك تفاعلًا دائمًا ومستمرًا بين الحضارة والمدنية.

الاستيراد الحضاري محنة أو مشكلة في حياة الأمم، وتنطلق هذه المحنة من هذه القاعدة؛ وهي أنّ الأمة المستورِدة عندما تستورد المدنية تستورد معها الحضارة، ولكنها حضارة قائمة على مدنية، وليست مدنية قائمة على حضارة.

عندنا مدنية قائمة على حضارة وعندنا حضارة قائمة على مدنية، إذا صنعت الحضارة مدنية، فالمدنية قائمة على حضارة، والأمة التي تستورد من الخارج مدنيات؛ أي تستورد أشكالًا وظواهر مدنية، لابد لها أن تستورد أيضًا مع الأشكال المدنية أشكالًا وقيمًا وأعرافًا وتقاليد وأفكارًا ومفاهيم حضارية، ومع ذلك كله لابد أن تستورد سلوكًا حضاريًا يتناسب مع هذه الحضارة.

أشكال الحضارة

الحضارة على شكلين:

الشكل الأول: الحضارة الأصيلة

وهي الحضارة التي تعيها الأمة وتعيشها وتعاني منها، فتصنعها أو تتمثلها في حياتها اليومية، وهذه هي الحضارة الأصيلة.

الشكل الثاني: الحضارة المستورَدة

وهي حضارة تستوردها الأمة استيرادًا كما تستورد السلاح والسلع والثلاجات والمكيفات...، وهذه الحضارة نسميها الحضارة المستوردة، وهي حضارة هشّة.

إذًا؛ الحضارة على قسمين؛ تارة هي حضارة تصنعها الأمة وتعيها وتعاني منها وتعيشها وتعيش تجاربها وتتعايش معها، وأخرى هي حضارة مستوردة تستوردها الأمة كما تستورد البضائع والسّلع.

والأشكال الحضارية غير قابلة للاختلاط مع بعضها؛ لعدم إمكان التفكيك بين الحضارة والمدنية، فالأمة التي تستورد الأشكال المدنية لا شك أنها ينبغي أن تستورد معها أشكالًا وأنماطًا حضارية أيضًا، كما تستورد الثلاجات والغسالات؛ تستورد مفاهيم وقيمًا وأعرافًا وتقاليد وتنظيمات حضارية، هذه الحضارة نسميها «الحضارة العارية»، وليست حضارة أصيلة؛ لأن الحضارة الأصيلة هي التي تعيشها الأمة وتعاني منها وتتبلور فيها وتمر في تجربة ومحنة معها. أما الحضارة التي تستوردها الأمة فهي حضارة عارية، والحضارة العارية محنة، وهذه المحنة غفلت عنها ندوة أزمة التطور، هذه المحنة لم تستطع الندوة أن تدرك أبعادها الحقيقية وأخطارها على وجود الأمة.

أبعاد محنة المسخ الحضاري

إذا أردنـا أن نبيّن أبعاد محنة الحضارة العارية أو أبعاد محنة المسخ الحضاري، نقول:

نحن عندما اتصلت الأسباب بيننا وبين ما يسمى بالغرب أو الشرق، فتحنا أعيننا على حاجات كثيرة. نحن أمة وجدنا أنفسنا فقراء من حيث الصناعة والتكنولوجيا والحاجات الأساسية، فقراء إلى الأسلحة والبواخر والقواعد العسكرية والطائرات والمطارات والمحطات والإذاعات ومحطات التلفزة واحتياجات أخرى من هذا القبيل، فاستوردناها من الغرب وارتبطنا به ارتباط آليا؛ يعني ارتبطنا بالغرب عن طريق حاجتنا إلى الغرب والعالم، فاستوردنا العالم من الغرب.

الآن هناك معادلة استعمارية، وأرجو الانتباه لهذه المعادلة بدقة؛ المعادلة الاستعمارية الظالمة هي أنّ الأمم الاستعمارية تحاول دائمًا أن تكون هي صاحبة الإنتاجات والتوريدات الاقتصادية الكثيرة، وتكون الأمم المستعمَرة والمستغَلة صاحبة الإنتاج الواحد، هذه المعادلة بين الإنتاج الواحد والإنتاجات الكثيرة هي التي تُبقي على قوة الاستعمار، وهي التي تبقي سلطان الاستعمار وسيطرته على البلاد المستعمَرة. وبهذا يختل التعادل بين الطرفين، وتكون الكفة راجحة لصالح المستعمِر.

وهذا هو الاستعمار الجديد، فدور الاستعمار العسكري التقليدي قد مضى وانتهى، ولكي يبقي الاستعمار على كيانه، فإنه يحاول دائمًا وبكل حرص الإبقاء على هذه المعادلة الظالمة؛ وهي أن تكون الدول المستقلة مستغِلة والمستعمَرة لا تملك إلا إنتاج؛ إما القطن أو الصوف أو النفط[1] أو الخشب أو الكبريت أو النحاس وما شابه ذلك[2].

١. راجع الملحق رقم (١): دول الخليج والإنتاج الواحد

٢. راجع الملحق رقم (٢): سوريا والمطامع الاستعمارية

نحن أمة لا نملك إلا إنتاجًا واحدًا، الدول المستعمِرة هي التي تملك كل شيء، ومن الطبيعي أننا - نحن كمجتمع نعيش في هذا العالم - بحاجة إلى أشياء كثيرة؛ كالطائرات والوقود والثلاجات والغسالات وبحاجة إلى كل شيء؛ بينما الدولة المستعمِرة تحتاج إلينا في شيء واحد، وبالتالي تستطيع أن تستغني عنا في أي لحظة، ولكن نحن لا نستطيع أن نستغني عنها ولو للحظة؛ يعني هذه المعادلة الظالمة وغير العادلة؛ الإنتاج الواحد من طرف والإنتاجات المتعددة من طرف آخر، تجعلنا مرتبطين بعجلة الدول المستعمرة دائمًا شئنا أم أبينا؛ لأننا نعيش ونحن بحاجة إليها؛ فالقماش الذي أشتريه وألبسه من الدول الاستعمارية، السيارة التي أركبها من هناك، الطائرة التي أطير بها من هناك، الميكروفون الذي أتحدث به من هناك، الراديو الذي أستمع إليه من هناك، التلفزيون الذي أرى منه المشايخ من هناك، الفراش الذي أنام عليه من هناك، الكرسي الذي أجلس عليه من هناك، حتى آلة الخياطة والخيوط التي أخيط بها ملابسي من هناك، فأنا مرتبط بسيل هائل من الحاجات بالدولة المستعمِرة، ولا أستطيع أن أستغني عنها في أي لحظة.

بينما هي ليست بحاجة إليّ أنا كأمة إلا في حاجة واحدة، فمن الطبيعي والحال هذه أن أكون أنا مجتمع وأمة استهلاك، وهي تصير أمة إنتاج.

والمعادلة الظالمة بين أمة الإنتاج وأمة الاستهلاك؛ هي أن تبقى أمة الإنتاج دائمًا مسيطرة ومتسلطة على الأمة التي تنتج المادة الخام فقط؛ أي على الأمة المستهلكة. وهذه الحقيقة هي من سنن الله التي لا تتبدل؛ وهي أنّ الأمة المستهلِكة بحاجة دائمًا إلى الأمة المنتِجة، والأمة المستهلكة تبقى دائمًا مستغَلة ومستثمَرة، والأمة المنتجة تبقى دائمًا ظالمة وطاغية.

هذه المعادلة والسُّنة والقانون لا يمكن أن يتبدل في حال من الأحوال، فالاستعمار انطلق إلى استعمار بلادنا واستغلالها من هذا المنطلق بالذات،

جعَلَنا أمة ومجتمع استهلاك نستهلك حاجاتنا من الغرب؛ بينما لا ننتج إلا إنتاجًا واحدًا، وهي مادة خام نصدّرها للغرب لنشتري بها حاجاتنا، فنحن مرتبطون بعجلة الاستعمار؛ شئنا أم أبينا، في أي وقت وأي لحظة، ولا نستطيع أن نتخلف عن حجزة الاستعمار؛ فالـدول الاستعمارية ليست بحاجة إلى أن تستعمل صواريخها وقواعدها العسكرية وأساطيلها البحرية لاحتلالنا، فنحن مرتبطون بها ومنضمون إليها تلقائيًا، لا نستطيع أن نخرج عن سلطانها.

خصائص مجتمع الاستهلاك

هذه حقيقة مهمة جـدًا؛ نحن بقينا أمة ومجتمع استهلاك، ولمجتمع الاستهلاك أربع خصائص، أرجو الانتباه والالتفات إلى كل واحدة من هذه الخصائص بدقة، وهي على النحو التالي:

الخاصية الأولى: مسخ الشخصية المسلمة

نحن عندما نكون بحاجة إلى الدول المستعمِرة لنستورد منها حاجياتنا وبضائعنا، فإننا نستورد أشكالًا مدنية، ومن الطبيعي جدًا حينئذ أن نستورد معها تلقائيًا أشكالًا حضارية؛ يعني نستورد معها آلية تشغيلها والاستفادة منها والثقافة التي تحتويها، فإذا استوردنا البنوك نستورد معها الربا، وإذا استوردنا الراديو والتلفاز نستورد معه اللهو والطرب، وإذا استوردنا السينما نستورد معها التسلية والخليعة، وإذا استوردنا الصحافة والإعلام نستورد معه الكذب والنفاق، وإذا استوردنا حاجاتنا الأخرى على هذا المنوال نستورد معها آلية استعمال هذه الحاجات وكيفية الاستفادة منها وثقافتها.

عقلية المستورد هو هذا لا يمكن أن تتغير؛ عقلية المستورد أنه عندما يستورد حاجة من الحاجات، فإنه يستوردها كما صُنعت، وكما يستعملها الذين صنعوها، دون أن يستطيع أن يفرّط في ذلك، فنحن عندما استوردنا هذه الحاجات، استوردنا معها كيفية تشغيلها واستعمالها والاستفادة منها، استوردناها

مع العالم، فأصبحت عندنا شخصية عارية، قيمنا تاريخنا أعرافنا أخلاقنا آدابنا كلها مستوردة من الغرب، فأصبحنا نعيش محنة اللاشخصية، لا نملك شخصية أصيلة، وإنما استوردنا شخصيتنا مع الآلة التي استوردناها، لا نملك شخصية قائمة أصيلة ذات جذور، استوردنا أبعاد شخصيتنا مع ما استوردنا من آلة وأجهزة وحاجات، فأصبحنا نعيش محنة اللاشخصية أو محنة مسخ الشخصية؛ حتى الذوق استوردناه؛ يعني الشعر الذي هم يرونه جميلًا أنا أراه جميلًا، لا يحق لي أن أحكّم ذوقي في انتقاء الشعر الجميل، الذين هم يرونه جميلًا هو الجميل، العمل الذي يرونه جميلًا هو الجميل، أنا لا رأي لي، أنا أملك مجتمع الاستهلاك لا ذوق لدي حتى أحكّم ذوقي في لوحة لأقول هذه الصورة جميلة أو قبيحة، رديئة أو حسنة، لا؛ هم يقولون قبيحة تلقائيًا أقول قبيحة، يقولون جميلة تلقائيًا أقول جميلة ولو لم اقتنع شخصيًا؛ لأن الأمة أمة استهلاك ولا تريد أن تحكّم مقومات شخصيتها.

المرأة عندنا ليست صاحبة ذوق في الزيّ الذي تنتخبه وتختاره، فالمرأة تستعرض المجلات الخارجية وتختار الزيّ من هناك، أما أنه جميل أو قبيح، فتلك مسألة ما لا تخص المرأة إطلاقًا، وإنما يعنيها أن يكون الزيّ مخططًا ومصممًا في دُور الأزياء في الغرب.

تنظيم الغرفة مثلا؛ لا نستطيع أن نحكّم رأينا وذوقنا في تنظيم الغرفة وكيفيته؛ بل نرى المجلات الخاصة بذلك، نرى كيف ينظّمون هم الغرفة، وأنا أقوم بتنظيم غرفتي وأضع الكراسي والمكتب والحاجيات... على نفس الترتيب؛ حتى اسم هذا الفعل مستورد، فلا أستطيع أن أقول (تنظيم الغرفة)؛ بل لابد أن أستحضر اصطلاحهم (ديكور الغرفة)؛ لأنهم هناك لا يقولون (تنظيم الغرفة)، وإنما يقولون (ديكور الغرفة).

أصبح الإنسان الشرقي مسخًا لا يملك شخصية؛ باستثناء الأفراد المؤمنين

والمسلمين الذين حافظوا على أصالتهم. الرواعد الذين يمشون في الشارع مسخوا لا شخصية لهم، لا يمتلكون مقومات شخصية، لا ذوق ولا أصالة ولا قدرة على التمييز والتفكير والتشخيص، وإنما هو مُسِخ يأخذ من دون تفكير، ويأخذ من دون عطاء. نحن نعيش محنة حضارية من أعظم المحن؛ محنة تلاشي الشخصية المسلمة، لا يوجد عندنا شيء يسمى بالشخصية المسلمة.

أحيانًا أنا أرى صورة في بعض المجلات، فأرى الإكبار والإجلال والتعظيم ولا أفهم سببه، إنما أفهم أنّ هذه الصورة أخذت بأسباب الغربيين، واستوردنا الصورة نحن مع ما فيها من إكبار وإجلال وتعظيم، واستوردناها مع ما تحمل من الفنّ، الفنّ عندنا ليس فنًا، ما يُصنع هناك هو الفنّ؛ رديئًا كان أم حسنًا، قبيحًا أم جميلًا، ليس مهمًا على الإطلاق!

أنا أقرأ القصة الوجودية، التي تطبع هناك طبعات كثيرة، لا أجد فيها شيئًا سوى أنها متعبة، ولكن بما أنّ القصة الوجودية تكتب وتطبع هناك، فإننا نستوردها ونقرأها تعبّدًا؛ فهمناها أم لم نفهمها، استذوقناها أم لم نستذوقها، فافتقدنا مقومات الشخصية.

الخاصية الثانية: ازدواجية الشخصية المسلمة

وهناك محنة أخرى ما وراء هذه المحنة وهي ازدواجية الشخصية؛ لأن الإنسان الشرقي الذي مسخت شخصيته مسخًا، عنده بقايا ورواسب من الشخصية الإسلامية، هذه الرواسب هي رواسب تاريخية بعيدة مشوشة وضعيفة وباهتة، وعندما تندمج هذه الشخصية مع الشخصية الأوروبية أو الأمريكية أو الغربية أو الشرقية الفلانية التي تنشد إليها وتقتدي بها، تكون شخصية مزدوجة، وظاهرة ازدواجية الشخصية ظاهرة واضحة في بلادنا. ضعوا أيديكم على أيّ شخص حتى أُبيّن لكم ملامح ازدواجية الشخصية في سلوكه وتفكيره وعطائه وعمله ومفاهيمه وعقليته.

ازدواجية الشخصية واضحة، وهي مأساة حضارية نعيشها نحن اليوم في البلاد.

الخاصية الثالثة: الابتلاء بعقدة الضعف وتحقير الذات

عقدة الضعف في نفوسنا أيضًا؛ هي عقدة ومأساة أخرى، فالإنسان المسلم الشرقي عندما يستورد آلة، يستورد معها كذلك تعظيم وإكبار وتقديس الإنسان الذي صنع هذه الآلة من جهة، والشعور بالضعف وتحقير الذات من جهة أخرى.

أنا أرى أنّ الإنسان الشرقي المسلم، حينما يركب تلك الطائرة العملاقة التي تعبر القارات والمحيطات، فإنه يشعر بالضعف في أعماق نفسه. إنّ الإنسان الذي صنع هذا الجسم العملاق الذي يطير من غير جناحين إلى الفضاء ويعبر القارات والمحيطات، مخلوق عظيم جدًا، وأنا الذي أركب ذلك الشيء وأستفيد وأنتفع منه، مخلوق حقير جدًا؛ سيشعر في أعماق نفسه بعقدة الضعف، وسوف ترافقه هذه الحالة في كل مرحلة من مراحل الاستعمال والاستفادة من ذلك الشيء، فعندما تقلع الطائرة ويطير هو في أعماق الفضاء، سوف يشعر بالضعف أيضًا في أعماق نفسه، وهكذا مع كل مرحلة من مراحل الاستخدام... وهذا الشعور أمر واضح نجده في كل تصوراته، فنفسه تنطوي على إكبار وإجلال وتعظيم لكل إنسان غربي أو شرقي من خارج بلاده.

أما الإنسان الشرقي، فكُتب عليه أن يكون مضمرًا وجاهلًا وضعيفًا وفقيرًا؛ لأنه لا يوجد عنده فاعل، فالإنسان الذي يصنع طائرة تطير إلى الفضاء والكواكب، هو الإنسان العظيم. أما الإنسان المسلم، فهو شيء ضعيف تافه، وبالتالي تصبح عقدة تحقير الذات واستصغارها كاملة في نفسه، وهذا هو الذي يريده الاستعمار؛ يريد الشعور بالضعف في أعماق نفوس الناس المستعمَرين، فالشيء الذي يسهل للاستعمار عمله هو أن تشعر هذه الأمة بالضعف والحقارة في أعماقها.

مَن الذي يفكّر بأن يخرج من سلطان الاستعمار؟! هل من الممكن نحن الشعوب الضعيفة أن نعيش خارج سلطان الاستعمار؛ هذا السلطان القوي الذي يربط الأرض بالسماء والقمر والمريخ... والأرض والبحار والجبال بقبضته؟ هل يمكن أن نفلت من سلطان هذا الاستعمار؟ أمريكا التي تعمل هذه الأعمال العظيمة هل يمكن الإفلات منها؟ ولا نعلم نحن أنّ أمريكا أرادت أن تخرج بماء الوجه من حروب الفيتنام ما استطاعت، لكنها خرجت منها وقد أريق ما أريق من ماء وجهها، خرجت بفشل وحقارة.

عقلية الإنسان عقلية الضّعة والتحقير والتبعية، كل عمل وكل خطوة وكل شيء صادر من الاستعمار يعني أنّ الاستعمار شيء عظيم جدًا، الاستعمار الذي يملك الأرض والسماء شيء عظيم جدًا لا يمكن الانفلات من قدرته وقسوة سلطانه، فكيف يمكن لهذه الأمة أن تفكر يومًا ما أن تعيش حياتها؟!

يجب أن نكافح عقدة الضعف في حياتنا، ونعمل المستحيل للقضاء على هذه العقدة في نفوسنا، وما دمنا نعيش نحن عقدة الضعف، فلن نستطيع أن نقدِم على شيء، وقبل كل شيء يجب أن نقدِم على هذه العملية الجراحية في أعماق نفوسنا وضمائرنا حتى لا نشعر بالضعف والحقارة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

الخاصية الرابعة: استيراد جيش من المستشارين والخبراء الأجانب

عندما استوردنا الآلـة، استوردنا مع الآلة جيشًا وذيلًا من المستشارين والخبراء والمهندسين والعمال وأصحاب الكفاءات الذين صنعوا هذه المظاهر، فزرعوا في نفوسنا وفي أعماق المسلمين حضارة غريبة عن مجتمعنا؛ يعني هذا الجيش الذي أقبل على بلادنا مع الآلة عندما استوردنا الآلة، بقي فارغا بلا عمل؟! هل الاستعمار غبي حتى يُبقي هؤلاء بلا عمل؟! وإنما كانت مهمتهم أن يزرعوا

١. الرعد: ١١.

في أعماقنا ومجتمعنا وأوساطنا حضارة غريبة كل الغرابة عنّا من دون أن نشعر أو نفهم أو نختار، والمأساة كل المأساة في ذلك. فلو كانت المأساة والمنحة عندنا أننا استوردنا حضارة، كما نستورد الثلاجة لكانت المأساة والمحنة أخف، ولكن محنة المحن ومأساة المآسي في حياتنا أنّا استوردنا فوق تلك الحضارة حضارة الشيطان في حياتنا. نحن لدينا حضارة التوحيد، حضارة الله سبحانه وتعالى، حضارة السماء، حضارة الأخلاق والقيم والإسلام والقرآن، فألغينا حضارة التوحيد هذه وطمسناها في حياتنا، واستوردنا حضارة الشِّرك والشيطان والنفْس الحيوانية من الإنسان. لم نستورد حضارة إنسان وإنما استوردنا حضارة النفس الحيوانية، استوردنا حضارة الغريزة والجهل والربا والشِّرك، حضارةً كل همها الاعتداء والظلم الاجتماعي والاقتصادي وإهدار القيم الإنسانية.

العملية الجراحية لمحنة المسخ الحضاري

إذًا؛ نحن أمام محنة حضارية، ولا نستطيع أن ننكر أننا نعيش في هذه المحنة، وللخروج من هذه المحنة لابد من عملية جراحية في الأمور التالية:

أولًا: في أعماقنا؛ من خلال القضاء على روحية الضّعة والتحقير والتبعية . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

ثانيًا: ننطلق من رسالتنا؛ نستعيد الرسالة إلى قوتها وسلطانها في حياتنا، نستعيد المياه إلى مجاريها الطبيعية في حياتنا، نستعيد رسالة الله وحضارة التوحيد والقرآن إلى حياتنا من جديد. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[2].

ثالثًا: في مجتمعنا؛ أن نخرج عن جوّ مجتمع الاستهلاك، فما دمنا نعيش دور مجتمع الاستهلاك، فسوف نبقى نعيش هذه المحنة، وإذا أردنا أن نخرج من

١. الرعد: ١١.

٢. آل عمران: ١٩.

هذه المحنة، فعلينا أن نخرج من مجتمع الاستهلاك[1].

١. لذلك نجد أنّ الإمام الخميني ﷺ بعد انتصار الثورة الإسلامية كان يؤكد على ضرورة الاعتماد على الذات والاهتمام بالعلم لقطع الارتباط بالخارج لاسيما الدول الاستعمارية، ولأهمية هذا الموضوع فقد ذكره في وصيته الخالدة. وكذلك خلَفه قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي (دام ظله)؛ فإنه لا يترك مناسبة وفرصة إلا ويشير فيها إلى ذلك وإلى ضرورة الاستقلال العلمي وتربية العلماء في شتى المجالات والاختصاصات، وتشجيع الصناعات المحلية والداخلية والعمل على تطويرها ودعمها، ومنع استيراد أي سلعة يتم تصنيعها في الداخل، والاستفادة من الطاقات الشبابية وتنميتها، وأنه يجب أن يأتي ذلك اليوم الذي تصل فيه الجمهورية الإسلامية إلى حدّ الاكتفاء الذاتي في المجالات العلمية والصناعية؛ بل يجب أن تصل إلى القمة وتصبح مرجعًا علميًا في العالم بحيث إذا أراد أحد أن يستفيد من علومها فعليه أن يتعلم اللغة الفارسية، كما أن من يريد اليوم أن يتعلم العلوم التي لدى الغرب ويستفيد منها ويستوردها عليه أن يتعلم لغتهم. (من المحقق)

للمزيد راجع:

- الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني ﷺ.
- نعيم قاسم، الولي المجدد.
- الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي.
- النهضة البرمجية في فكر الإمام الخامنئي.
- الثوري الأمثل في فكر الإمام الخامنئي.

الموقف الشرعي من الغزو الثقافي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾. [النساء/١٤١]

مشكلة الغزو الثقافي

نحن نواجه في هذا العصر مشكلة كبيرة وواسعة، وهي مشكلة الغزو الثقافي من قبل الغرب، نحن كمسلمين نتعرض لغزوٍ واسع من ناحية الغرب، وقد كان سابقًا من جهتين الشرق والغرب، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، أخذنا نستقبل هذا الغزو من ناحية الغرب فقط.

هذا الـغزو يستهدف عقائدنا وأفكارنـا وقيمنا وثقافتنا وأعرافنا وحتى مصطلحاتنا، ولذلك يهمنا أمر هذا الغزو الثقافي الواسع الذي نتعرض له اليوم، والغزو يتم بإمكانات علمية هائلة جدًا يستخدمها الغرب اليوم في نشر الثقافة والحضارة الغربية وتصديرها إلى العالم الإسلامي بمختلف الوسائل والعديد من الإمكانات؛ حيث يستخدم الغرب اليوم القنوات الفضائية بشكل واسع، ويستخدم شبكات الإعلام العالمية من الإنترنت والإعلام والصحافة والسينما وإمكانات واسعة جدًا، ويدخل الغرب في هذه المعركة بإغراءات كثيرة.

الفكر والثقافة والقيم الغربية، التي هي بالنسبة لنا ضد قيمنا، تدخل بلادنا بإغراءاتٍ فنية وإمكانات واسعة لإغراء الشباب بهذه الثقافة. إذًا؛ لابد من موقف، فما هو الموقف الإسلامي والشرعي من هذا الغزو الثقافي بهذه الإغراءات الكثيرة

والإمكانات الهائلة التي يقدمها الغرب في تصدير أفكاره وقيمه وعقائده إلى العالم الإسلامي؟

موقف الفقهاء من الغزو الثقافي

الفقهاء يبحثون هذه المسألة[1]، وقد تطرّقوا إليها في كلماتهم وكتبهم منذُ عقدٍ بعيد، ويبحث الفقهاء هذه المسألة عادة في المكاسب المحرمة في الأبحاث المتعلقة بطباعة ونشر وبيع وتصدير واستيراد وشراء واقتناء كتب الضلال، ويُفتون هناك بحرمة نشر وطباعة كتب الضلال أوّلًا، وبحرمة تصديرها ثانيًا، وبحرمة استيرادها ثالثًا، وبحرمة بيع وشراء هذه الكتب رابعًا وخامسًا، وبحرمة قراءتها سادسًا. هذا هو رأي الفقهاء.

وقد تعرّض إلى هذه المسألة صاحب الجواهر في كتاب المكاسب من كتاب (الجواهر)[2]، وكذلك الشيخ الأنصاري في المكاسب المحرمة من كتابه المعروف (المكاسب)[3]، وكذلك سائر الفقهاء... يبحثون هذه المسألة ويذكرون أدلة كثيرة، ولا يستثنون منها إلا حالات نادرة؛ كما لو أنّ الإنسان اقتنى كتابًا من كتب الضلال حتى يتعرف على الأفكار الموجودة في الكتاب وينقدها ويردّها، ويعين شباب المسلمين على تسديد وتقويم أفكارهم، ويعرّفهم على الأفكار التي تردنا من ناحية خصومنا الفكريين والحضاريين[4].

---

١. راجع الملحق رقم (٣): مسألة (الغزو الثقافي) ليست فقهية محضة

٢. راجع: محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج١١، ص٣٣٨.

٣. راجع: مرتضى الأنصاري، كتاب المكاسب، ج١، ص١١٥.

٤. يقول الشيخ الأنصاري: (ومما ذكرنا أيضًا يعرف وجه ما استثنوه في المسألة من الحفظ للنقض والاحتجاج على أهلها أو للاطلاع على مطالبهم ليحصل به التقية أو غير ذلك). كتاب المكاسب، ج١، ص١١٧.
أما صاحب الجواهر فيمنع من اقتناء كتب الضلال وحفظها مطلقا إلا لو كان ذلك لأجل النقض، فيقول: (ومنه حفظ كتب الضلال ونسخها لغير النقض... بل يحرم مطالعتها و تدريسها، و

البحث الفقهي الفني خارج عن محل الكلام

إنّ البحث الفقهي الاستدلالي في هذه المسألة خارج عن نطاق كلامنا هنا، فكلامنا ليس باللغة الفنية للمسألة؛ بمعنى أنّ الخطاب موجّه إلى الفكر والثقافة العامة وليس بلغة الثقافة الفقهية؛ لذلك نحن لا ندخل في البحث الفقهي والأدلة التي يذكرها الفقهاء لتحريم الثقافة الضالة والمنحرفة التي ترِد بلاد المسلمين؛ حيث لا أستطيع في هذا الحديث العام والثقافة العامة أن أتحدث عن الناحية الفقهية التي لا يمكن تقديمها إلا بلغتها الخاصة.

فإذًا؛ نحن نريد أن نتحدث عن المسألة في إطار الثقافة العامة التي يمكن أن يستفيد منها شباب المسلمين الذين يتعرضون أكثر من أي قطاع آخر في العالم الإسلامي لهذا الغزو، والذين يُستهدفون أساسًا من هذا الغزو، ويهمهم معرفة الموقف الشرعي أكثر من أي قطاع آخر، الشباب هم المستهدفون في هذا الغزو الثقافي بشكل أكيد.

الخطاب موجّه إلى مَن نتفق معه في الرؤية

قبل أن أتحدث عن هذا الموضوع أحب أن أوضح نقطة؛ وهي أنّ خطابي في المقام غير موجّه لأولئك الذين نختلف معهم ويختلفون معنا في تشخيص وتحديد القيَم، وإنما خطابي موجّه إلى أولئك الذين نتفق معهم في تحديد وتشخيص القيم؛ نتفق وإياهم في أنّ الإيمان والإخلاص والمعرفة والوعي والعفاف والتقوى والصبر والتآلف والتعارف والنصيحة والسلام، قيمة، كلامي موجّه إلى هؤلاء فقط؛ لذلك لن أدخل في مناقشة القيم وإثباتها، وإنما أتحدث فقط عن مسألة الانفتاح على الأفكار والثقافات التي ترِدنا من الغرب؛ نستقبلها

المختار استثناء النقض... وأمّا حفظها لو كان الغرض الاطّلاع على الفرق الفاسدة أو تحصيل ملكة البحث أو نقل الفروع الزائدة فالظاهر المنع عنه أيضًا). جواهر الكلام، ج١١، ص٣٣٨ - ٣٣٩. (من المحقق)

أم نحدّ منها ونفرض عليها رقابة؟ نفتح أبواب بلادنا وبيوتنا ومؤسساتنا الثقافية ومدارسنا ومجتمعاتنا وصحافتنا على هذه الأفكار والثقافات أم نفرض رقابة مشددة عليها بصورة مبدئية وبشكل يتناسب مع الغزو الثقافي الذي نتعرض له اليوم نحن في العالم الإسلامي؟

الغزو الثقافي لا يقتصر على كتب الضلال

إنّ المشكلة أوسع من مشكلة كتب الضلال، فالفقهاء يبحثون المسألة في دائرة كتب الضلال. بالتأكيد المسألة اليوم أوسع؛ فالمسألة اليوم تشمل كتب الضلال، وتشمل الصحافة والأفلام السينمائية والتلفزيون والتمثيل والفن والأدب والقصة و... وتشمل كذلك الوسائل والإمكانات الإعلامية في الثورة الإعلامية والثورة المعلوماتية الحديثة التي تحققت في عصرنا هذا. هذه الثقافة تدخل بلادنا اليوم بقوة كبيرة وهائلة من خلال شبكات الإعلام العالمي وشبكات الإنترنت العالمية، ومن خلال القنوات الفضائية على شاشات التلفاز، ومن خلال الصحافة، بشكلٍ واسع جدًا، وبإمكانات ضخمة يملكها الغرب اليوم لتصدير أفكاره وثقافته العقائدية والجنسية والأخلاقية والسياسية.

نحن نتعرض لغزو خبري. اليوم؛ صياغة الخبر فنّ في حقل الإعلام، ونتعرض لغزو إعلامي وسياسي في نشرات الأخبار التي تأتينا من ناحية وكالات الأنباء التي تديرها عقول إعلامية ومؤسسات متخصصة في الإعلام.

نحن؛ إذًا؛ نتعرض لغزو متعدد الجوانب وعلى أوسع نطاق، وهذا الغزو يدخل في عمق بيوتنا عبر شاشات التلفاز ومحطات البث والصحافة والكتاب والمسرح والفن وشبكات الإنترنت العالمية.

الموقف من الغزو الثقافي

إذًا؛ ما هو الموقف من هذا الغزو؟

هناك رأيان ومنطقان:

المنطق الأول: الانفتاح على هذه الثقافة.

المنطق الثاني: فرض رقابة وتحديد ما يصلح وما لا يصلح لنا من هذه الثقافة، حيث نفرض رقابة على هذه الثقافة التي تدخل بلادنا؛ نحن نحدد ما ينفعنا وما لا ينفعنا، ونأخذ مما يدخل بلادنا بالمقدار الذي نريده، وما لا ينفعنا وما يضرنا لا نسمح له بالقدر الذي نستطيع، بالمقدار الذي نتمكن فيه من التحديد والرقابة.

نحن اليوم لا نتمكن من فرض رقابة على أمواج البث الإذاعية إلى حد كبير، ولا نتمكن حتى من التشويش عليها، ولكن يمكن فرض رقابة على مساحات أخرى من الإعلام؛ كالصحافة وشبكات الإنترنت والقنوات الفضائية.

إذًا؛ نحن أمام منطقين: المنطق الأول يؤمن بالانفتاح، والمنطق الثاني يؤمن بالرقابة والتحديد، ولكل منهما مبرراته، وأنا بينت فيما تقدم أنّ خطابي وحواري مع أولئك الذين نتفق معهم في تحديد وتشخيص القيم.

المنطق الأول: منطق الانفتاح

أصحاب هذا المنطق يؤمنون بعدم جدوى فرض رقابة على الثقافة التي تأتينا من ناحية الغرب، ويؤمنون بشكل جدّي وحقيقي بأنه علينا أن نثقّف أبناءنا وبناتنا، ولا يمكن في الوقت الحاضر فرض السيطرة على الثقافة التي تدخل بلادنا عبر هذه الآليات الفضائية الموجودة اليوم، هذه الثقافة تدخل بلادنا شئنا أم أبينا؛ فتحنا لها حدودنا وأبوابنا أم أغلقناها في وجهها؛ نحن أمام أمر واقع اتجاه هذه الثقافة.

إذًا؛ علينا أن نفكر بطريقة أخرى في مواجهة هذه الثقافة؛ سواء منها الثقافة العقائدية أو الجنسية أو الأخلاقية أو السياسية، علينا أن نفكر بتثقيف أبنائنا

وبناتنا بالثقافة الإسلامية في كل المجالات، ونسلحهم بالثقافة الإسلامية، وبعد ذلك لا نخاف عليهم من هذا الغزو الثقافي والحضاري الذي تتعرض له بلادنا اليوم في العالم الإسلامي؛ وذلك للأسباب التالية:

مبررات هذا المنطق

لقد برر أصحاب منطق الانفتاح الذهاب إلى هذا القول بالأسباب التالية:

أوّلًا: لأنه من غير الممكن صد هذا التيار، ومن غير الممكن أن نغلق حدودنا على هذه الثقافة؛ حيث تأتينا عبر الفضاء من خلال القنوات الفضائية أو ما لا يمكن السيطرة عليه.

ثانيًا: فرض رقابة على هذه الثقافة وتحديدها يؤدي إلى مردود عكسي تمامًا؛ يؤدي إلى ترغيب أبنائنا وبناتنا في هذه الثقافة الممنوعة المحظورة بناء على المنطق المعروف «كل ممنوع مرغوب»، فكل شيء محظور على الإنسان يرغب فيه. أما إذا فتحنا أبواب بيوتنا وأبواب مؤسساتنا الثقافية، وامتلأت عيونهم وأسماعهم، وثقفناهم، فسوف يكون التأثير السلبي لهذه الثقافة خفيف وضعيف على عقول وقلوب شبابنا وفتياتنا.

ثالثًا: دخول مثل هذه الأفكار والثقافات إلى بلادنا يحصّنهم؛ فالحصانة تحصل دائمًا في أمثال هذه البيئات والأوساط (الوسط المنيع يعطي المناعة للإنسان)؛ لأن الإنسان إذا كان يعيش في وسط مرضٍ ما، فإنه يكتسب المناعة؛ ويكتسب المناعة عندما يدخل العدو دخولًا ضعيفًا في جسم الإنسان والمجتمع مع وجود قوة تحدّ منه، عندئذ يكتسب الإنسان المناعة التي هي نتيجة حقن الجراثيم في جسم الإنسان بحالة مخففة. كذلك الأفكار المعادية والمخالفة؛ فعندما تأتي الثقافة المناوئة لثقافتنا وتدخل في مجتمعنا، فسوف تكسبنا هذه الثقافة المناعة والحصانة منها، بعكس ما لو منعناها من بيوتنا ومؤسساتنا

ومجتمعاتنا، فإننا لن نكتسب هذه المناعة.

رابعًا: شبابنا وبناتنا لن يكتسبوا النمو الفكري والثقافي إلا في وسط الصراع الثقافي والفكري، فعندما نفتح أبواب بلادنا ومؤسساتنا وبيوتنا على هذه الثقافة، ونسمح لهذا الصراع الفكري أن يتأجج في بلادنا، فإن هذا الصراع الفكري يمنح أبناءنا وبناتنا - بالإضافة إلى المناعة - النمو الفكري والثقافي والنضج الثقافي والفكري أيضًا، فالإنسان لا يقوى إلا في وسط المعركة والصراع.

هذا هو المنطق الأول الذي يؤمن بضرورة الانفتاح على هذه الثقافة بهذه المبررات.

المنطق الثاني: منطق فرض الرقابة

هذا المنطق يؤمن بضرورة فرض الرقابة والسيطرة على ما يمكن السيطرة عليه. هناك أشياء لا يمكن السيطرة عليها، نحن نواجه أمرًا واقعًا وهو البث الإذاعي؛ حيث لا يمكن السيطرة عليه إلا بالتشويش، وإمكانات التشويش عادةً ضعيفة، ولكن هناك أشياء كثيرة يمكن فرض الرقابة عليها؛ حيث يمكننا فرض الرقابة على ما يطبع وينشر من الكتب، على ما يطبع وينشر من الصحافة، على ما يدخل بلادنا من الصحافة والإعلام، على أشرطة الفيديو، على القنوات الفضائية، على شبكات الإنترنت...

هناك مجالات واسعة جدًا يمكن فرض رقابة عليها، وليس كما يقول أصحاب المنطق الأول من أننا نواجه أمرًا واقعًا وعلينا أن نقف مكتوفي الأيدي ونتفرج على مأساة القيم والغزو الحضاري للعالم الإسلامي، ليس كذلك. نحن لدينا إمكانات كبيرة وواسعة لفرض رقابة دقيقة ومشددة على ما يدخل بلادنا ومجتمعاتنا، فنسمح بما ينفع، ولا نسمح بما يضرنا وما لا ينفعنا.

وليس من الصحيح أن نعتقد بأننا إنما نكتسب المناعة بالسماح للأفكار

المضلِّلة أن تدخل بلادنا، فهذه الأفكار تدخل بلادنا بإمكانات وإغراءات كبيرة وواسعة وبوسائل تضليل متطورة وقوية جدًا، فليس من الصحيح أن نكتسب المناعة والحصانة منها من خلال السماح للعدو بأن يدخل بيوتنا ويغزونا في عقر دارنا، نحن نكتسب الحصانة والمناعة والثقافة بما علّمنا الله تعالى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1] بالتزكية والتعليم. أما أن نجازف ونسمح للعدو بأن يدخل بلادنا ونعرّض أولادنا وبناتنا للخطر حتى نكسبهم المناعة، فهذا من أفدح الأخطاء، فمن الخطأ جدًا أن نوصي إنسانًا لا يعرف السباحة أن ألقِ بنفسك في البحر وعرّض نفسك وسلّمها لأمواجه حتى تتعلم السباحة! ليس هكذا يتعلمون السباحة... يتعلمون السباحة على شاطئ الأمان ابتداء، ثم إذا تعلّم السباحة وصار سباحًا، عند ذلك يواجه الأمواج، أما أن ننصح فتى يافعًا لا يعرف السباحة بعدُ، ولا يعرف كيفية مواجهة الأمواج ونقول له: حتى تتعلم السباحة وحتى تنمو وتقوى عليك مواجهة أمواج البحر بنفسك، فهذا التفكير خطير وخاطئ وغير صحيح. ونحن في حياتنا غير الثقافية أيضًا نفكر بنفس الطريقة.

الإسلام يقف ضد التخريب الثقافي

أنا أسأل أصحاب المنطق الأول: نحن في المساحات الأخرى من الحياة أيضًا نفكر بهذه الطريقة ونطبق هذا المنهج؛ مثلًا مجال التجارة، فلو آمنا بمبدأ التجارة الحرة، فهل نسمح باستيراد الحبوب واللحوم والمعلبات والفواكه والأدوية و... الفاسدة؟ هل نسمح بذلك بحجة حرية التجارة؟ هل سمعتم في يوم من الأيام أنّ هناك من يسمح بذلك؟

إنّ حرية التجارة لا تعني السماح للطعام الفاسد والحبوب الفاسدة واللحوم الفاسدة والأدوية الفاسدة بأن تدخل بلادنا.

الثقافة أيضًا من هذا القبيل؛ فالمنطق الذي يحكم علينا أن نفرض رقابة

١. آل عمران: ١٦٤؛ والجمعة: ٢.

على الاستيراد والتصدير، هو نفسه الذي يحكم علينا أن نواجه الثقافة التي تدخل بلادنا. كيف نتحسس تجاه البضائع الفاسدة المستوردة من الخارج كالأطعمة والأشربة التي تدخل بلادنا ونرفضها ونفرض عليها رقابة ونقول إنّ حرية التجارة لا تعني السماح بمثل هذه الأمور؟! ولكن عندما يكون الحديث عن الثقافة الجنسية والأخلاقية والسياسية المستوردة والفاسدة والأخبار المضللة والمعلومات التي تدخل بلادنا عن طريق شبكات الإنترنت؛ المعلومات التجسسية والمغريات الجنسية، نقول إنّ هذا انفتاح ثقافي، وهو مبدأ محترم ينبغي احترامه، ويجب أن نسمح لهذه الثقافة بأن تدخل بلادنا حتى ينمو وينضج ويتكامل شبابنا، وحتى يكتسبوا المناعة والحصانة ضد هذه الثقافة!!! هذا ليس منطقًا صحيحًا؛ بل هو منطق عليه مؤاخذات كثيرة.

الإسلام يعارض سياسة التخريب ويمنعها ولا يوافق عليها أبدًا مهما كان نوع التخريب؛ سواء التخريب الاقتصادي أو الأمني أو العمراني أو التجاري أو الزراعي أو الصناعي أو السياسي أو الثقافي أو الأخلاقي، والتخريب في القيم والعقائد لا يختلف عن التخريب في الزراعة والتجارة والصناعة والعمران أبدًا. بنفس المنطق الذي يحرّم به الإسلام على الناس التخريب في العمران والتركيبة السكانية والزراعة والصناعة والتجارة والأمن والسياسة، يحرّم أيضًا التخريب في الثقافة والأخلاق والعقائد، وأن نسمح لهذه الثقافة بأن تدخل بلادنا وبيوتنا ومؤسساتنا بلا رقابة وبلا حدود وبلا ضوابط وبلا فرض أي سلطة سيطرة، هو من أكبر أنواع التخريب إن لم نقل بأنه أكبرها وأعظمها على الإطلاق.

موقف الإسلام من الثقافة المستوردة ليس استبداديًا

إنّ المسألة ليست مسألة حرية ثقافية وفكرية وسياسية و... أو مسألة استبداد ثقافي وفكري وسياسي؛ كما يدّعي ويتذرّع دعاة الانفتاح على الثقافة التي تدخل بلادنا من الغرب. المسألة مختلفة تمامًا، وإلا فهذا ليس هو معنى الحرية،

فنحن لا نفهم الحرية بمعنى أن نفتح بلادنا على كل أنواع الثقافة الفاسدة التي ينتجها الغرب، والتي دمرت فطرة الإنسان الغربي وأفسدت وخربت ضميره... هذا ليس معنى الحرية.

إنّ مسألة الانفتاح على الحضارة والقيم الغربية هي مسألة أخرى، فهناك أناس يؤمنون بمبدأ الانفتاح على الحضارة الغربية، ويؤمنون بأن هذه الحضارة جيدة، ويؤمنون بأن هذه الثقافة وأفكارهـا نافعة، ولكن هذه الثقافة التي تردنا وتدخل بلادنا من ناحية الغرب لا تعبر عن حقيقة رأيهم وموقفهم من هذه الثقافة، فهم لا يعبّرون بشكل واضح عن حقيقة موقفهم، وإنما يتذرعون بالحرية الفكرية والسياسية والثقافية للسماح لهذا الفكر بالدخول إلى بلادنا.

المسألة مسألة أخرى؛ فهؤلاء الدعاة إلى الانفتاح الثقافي والحضاري على الغرب وعلى الثقافة الجنسية والسياسية والعقائدية والأخلاقية في الغرب، يحملون رأيًا وفهمًا وتصورًا آخر غير تصورنا، ولا يمكنهم أن يعبّروا عن حقيقة موقفهم، ولكن يتمسكون بشعار الحرية الثقافية والحرية السياسية لكي نفتح بيوتنا وصدورنا وقلوبنا ومؤسساتنا على هذه الثقافة.

حوار ولقاء أم انفتاح واستسلام؟

إذًا؛ من الأفضل أن ننتقل إلى المسألة الأخرى، لذلك أحوّل الخطاب إلى الذين لا يؤمنون بهذه القيم، لأقول:

نحن لدينا مسألتان:

المسألة الأولى: مسألة حوار ولقاء حضاري وثقافي وفكري وسياسي.

المسألة الثانية: مسألة انفتاح واستسلام للثقافة والحضارة الغربية.

ولابد من التفريق بين هاتين المسألتين؛ ففي المسألة الأولى رأي الإسلام

إيجابي، وفي المسألة الثانية رأي الإسلام سلبي.

في المسألة الأولى، وهي مسألة الحوار واللقاء الحضاري والثقافي والسياسي، رأي الإسلام بالإيجاب بالضرورة، وبالتأكيد لا يناقش في ذلك أحد، فالإسلام يأمرنا بمثل هذه الحوارات واللقاءات الحضارية في ظروف آمنة فكريًا وثقافيًا وسياسيًا.

يقول تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]. الجدال يعني الحوار، والله عز وجل يأمرنا باللقاء والحوار ، ولكن في نفس الوقت يعطينا كذلك أدب اللقاء ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. إذًا؛ الله سبحانه وتعالى يريد منّا اللقاء والحوار، لكن يعطينا ضابطة لذلك، وهذه الضابطة هي التي تكسبنا الموقف الحضاري والفكري والثقافي والسياسي.

ويريد منّا الله سبحانه وتعالى أن نتعارف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[2]، هذا التعارف يعني اللقاء والتفاهم، والتعارف مبدأ من مبادئ الإسلام، وهو يعني اللقاء بين أفكار مختلفة وبين توجهات فكرية وسياسية وحضارية وثقافية وأخلاقية متعددة، وليس معنى اللقاء والتعارف هو أن يكون بين أفراد وجماعات متّحدة في الفكر والثقافة، التعارف يعني اللقاء بين الجماعات والمجاميع المختلفة في الفكر والثقافة والحضارة والفهم السياسي والموقف السياسي.

ويريد منّا الله عز وجل أن نستمع ونصغي: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[3]، ولا يريد منا أن ننغلق ولا نستمع، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾؛ أي نستمع وننفتح ونأخذ، ولكن نتبع الأحسن ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾؛ يعني نستخدم ما آتانا الله تعالى من عقل وقلب في فرز الصحيح عن الفاسد، والباطل عن الحق، والضلال

١. النحل: ١٢٥.

٢. الحجرات: ١٣.

٣. الزمر: ١٨.

عن الهدى، والمستقيم عن المنحرف، والنور عن الظلام، والقيم عن أضدادها ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

الله يريد منا كل ذلك وليس من شك في ذلك، ولكن مع فرض ظروف أمنية، فيجب أن يكون اللقاء في ظروف آمنة من الناحية الثقافية والسياسية، وأن يكون الاستماع والجدال والحوار واللقاء والتعارف في ظروف آمنة.

هذا الذي يريده الله سبحانه وتعالى، والذي يرفضه الإسلام أن نفتح بيوتنا وقلوب شبابنا وأبصارهم وأسماعهم وهم غير محصّنين، وهم لا يملكون القوة الكافية، وأن نعرّضهم لهذه الزوبعة من الإغراءات والأفكار المنحرفة والضالة، ونفتح بيوتنا ومكتباتنا ومؤسساتنا ومدارسنا ومجتمعنا على الثقافة الجنسية والأخلاقية الغربية، قبل أن نوفر لهم الأمن الكافي. هذا غير صحيح.

ينبغي أن يتم هذا اللقاء ولكن في ظروف آمنة بشكل كامل، الله عز وجل يريد الأمن للمسلمين على كافة الأصعدة؛ الأمن السياسي والفكري والثقافي والتجاري والمالي وفي دمائهم وأعرافهم.

إذًا؛ من مبادئ الإسلام المهمة: الأمن والسلام.

المسؤول عن توفير الأمن الثقافي

الدولة الإسلامية هي المسؤولة عن توفير الأمن والسلام للمجتمع الإسلامي على كافة الأصعدة، فكما أنها هي المسؤولة عن توفير الأمن للأمة في دمائهم وبيوتهم وأموالهم وأبنائهم وأعراضهم وعوائلهم وتجارتهم، كذلك هي المسؤولة عن توفير أمنهم العقائدي والفكري والثقافي.

الدولة الإسلامية مسؤولة عن الأمن الثقافي أيضا؛ حيث تأمنهم على ما يسمعون وما يرون من الأخبار والبيانات من المذياع ومحطات البث والإنترنت

و... وكل ما يتعلق بالثقافة. هذا الأمن يريده الله ﷻ كما يريد الأمن في الجوانب الأخرى؛ من التجارة والصناعة والزراعة والأعراض والأموال والحدود...

إذًا؛ موقف الإسلام من اللقاء والحوار الحضاري والثقافي موقف إيجابي، ومن الاستسلام للثقافة والحضارة التي تأتينا من الغرب عبر الفضائيات وشبكات معلومات موقف سلبي.

وأختم الحديث في هذا البحث بالقول: إنه من الخطأ أن يجلس الإنسان في بيته ويغلق أبواب البيت على نفسه، ولا يسمح لأحد أن يدخل عليه البيت، ولا يسمح لعائلته وأبنائه أن يخرجوا من البيت. وعندما تسأله لماذا هذا التصرف؟ يقول: حتى أحصّن نفسي وعائلتي من الآخرين. هذا التصرف خاطئ مهما كانت الحجة، فإن ذلك لن يكسبهم مناعة وحصانة.

ومن الخطأ أيضًا أن يبقي الإنسان باب بيته مفتوحًا للصوص والمجرمين والقتلة والانتهازيين ليلًا نهارًا بحجة الانفتاح، وأنّ الانفتاح ضروري، وينبغي للإنسان أن ينفتح على الآخرين، فيبقي باب بيته مفتوحًا على الآخرين منتصف الليل ويذهب هو وعائلته إلى النوم، ويدّعون أنّ سياسة الانفتاح هي السياسة الصحيحة. هذا أيضًا خطأ بالتأكيد.

كل من التصرفين خاطئ، والصحيح هو اللقاء والحوار والاستماع، ولكن مع فرض رقابة وتحديد ما يُسمح بدخوله إلى حياة الإنسان وبيته، وتحديد ما يأخذ الإنسان المسلم من الثقافات الأخرى، وفرض الرقابة على شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية وأفلام الفيديو والسينما والمطبوعات من الصحافة والكتب، وفرض الرقابة على ما يطبع وينشر في بلادنا منها، فما يوافق قيمنا وأخلاقنا وأفكارنا نسمح به، وما يؤدي ويسبب إلى تضليل وإغراء شبابنا وبناتنا نمنعه.

إذًا؛ الحل الصحيح هو اللقاء والحوار والاستماع والانفتاح الإيجابي، والخطأ

هو فقدان الرقابة والسيطرة، والاستسلام للثقافة التي تدخل بلادنا من دون حدود وضوابط ورقابة[1].

١. راجع الملحق رقم (٤): المناعة الثقافية وآلياتها

الملحقات

الملحق (١): دول الخليج والإنتاج الواحد

من المعروف أنّ دول الخليج من أهم الدول نفطية وغنية بالذهب الأسود، لذلك يُسمح لها بإنتاج هذه المادة فقط وتصديرها، وذلك لحاجة الغرب إليها، ولولا حاجتهم إلى هذه المادة لما سمحوا لها بإنتاجه، حتى إنّ إنتاج النفط في هذه الدول لا يتم بخبرات محلية، وإنما بخبرات أجنبية من خلال شركات تقوم باستثمار آبار النفط واستخراج النفط منها وتكريره مقابل الحصول على نسبة معينة من هذا النفط وأجور وامتيازات أخرى مكلفة وباهظة جدًا، وبالتالي تكون الأرباح والفوائد من هذا الإنتاج والعائد إلى هذه الدول متدنيًا جدًا في قبال ما لو كان إنتاجه واستثماره محليًا؛ أضف إلى ذلك أنّ نفس هذه الدول التي استخرجت النفط تشتريه بأسعار زهيدة.

إذًا؛ حتى في الإنتاج الواحد الذي يسمح به الاستعمار، فإنه لا يسمح للدولة المنتجة له بالحصول على التقنيات اللازمة لإنتاجه محليًا؛ لكي تبقى تحت سيطرته ورحمته. أما باقي الإنتاجات فحدّث ولا حرج، فهي مستوردة في معظمها إن لم نقل بالكامل أو إذا سُمح للدولة بتصنيع أو إنتاج شيء منها فقصته نفس قصة إنتاج النفط أيضًا، فأصبحت هذه الدول مرتبطة بالاستعمار والدول الغربية بحيث لو رفعت هذه الدول المستعمِرة يدها واستثماراتها عن تلك الدول المستعمَرة لعادت إلى الحضيض إلى الخيم وبيوت الشعر وتربية المواشي.

أضف إلى ذلك أنّ مردود هذه الدول من إنتاجها يتم إيداعه بالعملات الصعبة

في بنوك الدول الاستعمارية والغربية نفسها، وهنا يسيء الاستعمار الاستفادة من ذلك، ويستغلّ هذه الدول ويقوم بتهديدها بمصادرة هذه الأصول والأموال وإغلاق الحسابات وفرض العقوبات كلما شعر أنه بحاجة إلى ذلك، وبالتالي يكون قد أحكم الاستعمار السيطرة والخناق على هذه الدول المستضعفة والمستغَلة؛ لذلك نجد أنّ مواقف هذه الدول السياسية ضعيفة جدًا وهزيلة أمام الغرب المتمثل بأمريكا وأوروبا، فأصبحت تبعًا لهم في كل شيء.

طبعا؛ هذا الأمر لا يختص بدول الخليج فقط؛ بل يتعدى إلى كل دولة لديها ثروة في مجال معين لاسيما الثروة النفطية؛ حيث إنّ الدول الاستعمارية بأمسّ الحاجة إليها، فالعراق مثلًا يقبع على ثروة نفطية هائلة، وأمريكا تضع يدها عليها وتستغلّها أيما استغلال! كما أنّ جزءًا لا يستهان به من هذا النفط المستخرج يتم تصديره إلى الكيان الغاصب (إسرائيل) عبر كردستان العراق. ونحن إنما ذكرنا دول الخليج من باب المثال الأبرز كون هذه الدول بمجموعها تشكل الثروة النفطية الأكبر والأعظم، وبالتالي المطامع الاستعمارية تتوجه إليها بشكل أكبر وضمن الأولويات.

بينما لو نظرنا إلى التجربة الإيرانية - علمًا أنّ إيران هي من الدول النفطية الكبيرة ولديها إنتاج ضخم واحتياطي ضخم أيضًا، وتحتل مركزًا متقدمًا بين الدول المصنعة للنفط في العالم - لوجدنا أنّ الوضع في زمن الحكم الشاهنشاهي الملَكي لم يكن يختلف كثيرًا عما هو عليه في دول الخليج؛ بل كان أسوأ؛ لأن الاستعمار؛ المتمثل بأمريكا وبريطانيا وروسيا (الاتحاد السوفييتي سابقًا)، كان يضع يده على الثروة النفطية بالكامل، وما تحصل عليه الدولة الإيرانية من مدخول يذهب إلى جيوب الشاه وعائلته والمسؤولين في مملكته، ولا يعود شيء منه بالنفع إلى الشعب الإيراني، بينما بعدما انتصرت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني رضي الله عنه، قامت الدولة بوضع يدها على هذه الثورة العظيمة وقامت بتأميم النفط، وأصبح مردود هذه الثروة يعود إلى الدولة والشعب، واليوم تحتفل

الجمهورية الإسلامية بهذه الذكرى - ذكرى تأميم النفط - سنويًا.

كما أنّ الجمهورية الإسلامية حدّدت من فوائد وأرباح الشركات الأجنبية المستثمرة للنفط، وشيئًا فشيئًا أخذت بالاستغناء عن هذه الشركات الأجنبية والاستعاضة عنها بالخبرات المحلية، وأخذت تصنّع حتى الأدوات اللازمة لاستخراج وتكرير النفط، إلى أن وصلت إلى الاكتفاء الذاتي في هذه الصناعة، كما قامت ببناء مصافي النفط التي تعتبر من أصعب المراحل في هذه الصنعة وهذا الإنتاج، ومَن يفهم بالاقتصاد يدرك جيدًا ما معنى ذلك وما هو مردوده على الدولة... وكل ذلك حصل وسط حالة من التضييق والحصار الاقتصادي على الجمهورية من قِبل دول الاستكبار العالمي وعلى رأسها أمريكا. وعندما قام الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية (دونالد ترامب) بفرض حزمة من العقوبات الاقتصادية كانت هي الأصعب من حين انتصار الثورة وقيام الجمهورية، والتي سميت بالعقوبات القصوى أو الحد الأقصى للعقوبات، خرجت جميع الشركات الأجنبية التي كانت تستثمر في القطاع النفطي؛ لأن بقاءها يستلزم فرض عقوبات عليها، فكانت هذه العقوبات فرصة لتتخلص الجمهورية من هذه الشركات وتعتمد بالكامل على خبراتها المحلية، فحوّلت التهديد إلى فرصة.

الملحق (٢): سوريا والمطامع الاستعمارية

لو أخذنا سوريا على سبيل المثال؛ فإن هذا البلد كان قد وصل إلى حدّ الاكتفاء الذاتي في عدة مجالات قبل أن تتكاتف وتتكاثر عليها الدول الاستعمارية والاستكبارية لتدميرها على يد وكلائها الدواعش؛ فعلى صعيد الثروة النفطية لم تكن بحاجة إلى استيراد النفط من الخارج على الرغم من مخزونها المتواضع من النفط قياسًا إلى الدول النفطية الأخرى، ولديها مصفاتان (بانياس وحمص) لتكرير وتصفية النفط والاستفادة منه مباشرة.

وعلى المستوى الزراعي تعدّ الأراضي الزراعية السورية خصبة ومناسبة لمختلف أنواع المزروعات والأشجار المثمرة، وقد كان لديها اكتفاء ذاتي في مختلف المحصولات الزراعية لاسيما القمح والشعير؛ بل كان هناك فائض في بعض المحاصيل تقوم بتصديره إلى الخارج.

وعلى مستوى الثروة الحيوانية كانت لديها مزارع لتربية المواشي من مختلف الأنواع لتستفيد من منتجاتها سواء من الحليب ومشتقاته أو من لحومها، وكان لديها اكتفاء ذاتي وتصدّر إلى الخارج أيضًا.

وعلى مستوى الصناعة كان لديها مصانع أدوية وتصدّر الدواء إلى بلدان مختلفة، ولديها صناعة الغزل والنسيج المشهورة عالميًا وكانت تصدّر أيضًا الخيوط والملابس، فسوريا مشهورة بزراعة القطن، فكانت تزرع القطن وتحصده وتنتج خيوطه وتصدّرها كما كانت تصنع منه الملابس وتؤمّن احتياجاتها الداخلية وتصدّر الباقي، وقد تطورت على الصعيد الصناعي بحيث أُنشئت مدُن صناعية بالكامل في بعض المحافظات الرئيسية كحلب ودمشق وحمص. وفي الفترة الأخيرة قبل الحرب، تم إنشاء مصانع متطورة في العاصمة الصناعية حلب للمضي في عملية الصناعة إلى مستوى أعلى.

وعندما بدأت الحرب الإرهابية الظالمة على هذا البلد، أول ما قام به الإرهابيون ومعهم الدول الاستعمارية وعلى رأسها أمريكا هو تدمير أي منشأة اقتصادية مهمة، أو السيطرة على المناطق المتواجدة فيها هذه المنشآت، فقامت أمريكا بالسيطرة على آبار النفط والغاز وسرقتها، وتقوم الآن باستخراج النفط وإدخاله إلى قواعدها في العراق عبر المعابر غير الشرعية التي أوجدتها. وقام الإرهابيون بالسيطرة على المناطق الصناعية في العاصمة الصناعية لسوريا مدينة حلب، وتمت سرقة الآلات الصناعية المتطورة وتهريبها إلى تركية، كما قاموا بتفجير مصانع الأدوية وتخريب أنابيب النفط، وسيطروا على أهم المناطق الزراعية وخصوصًا التي تقوم بزراعة القمح والشعير حتى أمريكا الآن تستفيد من هذا المحصول وتقوم بسرقته وإدخاله إلى قواعدها في العراق، أما الأماكن التي تزرع القمح والتي ما زالت تقع تحت سيطرة الدولة السورية، فتقوم أمريكا وأعوانها بحرقه سنويًا قبل حصاده، وقد أسفر ذلك تدمير هذا المحصول المهم والحياتي للشعب السوري، وأصبحت الدولة الآن تستورد هذه المادة الأساسية بعدما كانت فائضة وتقوم بتصديرها إلى دول العالم.

أضف إلى ذلك كله الحصار الاقتصادي القاسي والظالم جدًا المفروض بقانون قيصر من قبل الشيطان الأكبر أمريكا والذي زاد الأمور سوءًا بحيث أصبح الشعب السوري يعاني الويلات من هذا الحصار؛ هذا الحصار الذي يمنع من دخول أي مستثمر لإعادة إعمار ما دمّرته آلة حربهم الجائرة... هذا الحصار الذي منع حتى من دخول المساعدات للشعب السوري وإعادة إعمار ما دمرته الطبيعة بسبب الزلال الكبير الذي حصل.

ولا ننسى هنا أن نشير إلى أنّ كل هذه الأحداث لم تكن البلاد العربية والإسلامية؛ أمثال بعض دول الخليج وتركيا، بريئة منها؛ بل شاركت وساهمت فيها بكل ما أوتيت من قوة...

وما نريد أن نخلص إليه هنا هو أنه حتى الإنتاج الواحد الذي أشار إليه الشيخ ﷺ لم يعد متاحًا ولم يعد موجودًا، ولم تعد تسمح به الدول الاستعمارية في الدول المناهضة لها والمخالفة لسياستها وخصوصًا إذا لم يكن ذلك الإنتاج يعود بالنفع إليها. وهكذا الأمر بالنسبة إلى دول أخرى مستضعفة كلبنان؛ فغير مسموح له حتى الاستقرار السياسي، وكذلك العراق الذي كان معروفًا ببلد السواد لكثرة خصوبته وخضرته وبركاته، فالآن مسموح له بإنتاج النفط فقط، لكن هيهات أن يعود ذلك الإنتاج ومردوده بالنفع على الشعب العراقي والدولة العراقية؛ بل نفعه الأساسي يرجع إلى المستعمر الأمريكي وأعوانه، ولولا ذلك لعطل حتى هذا الإنتاج كما فعلت أو حاولت أن تفعل مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ حيث فرضت العقوبات التي شملت قطاع النفط بالكامل ومنعت أي مستورد في العالم من شراء النفط أو الاستثمار في هذا القطاع، وكل ذلك لأنه لا يوجد عائد من هذا الإنتاج يرجع إلى أمريكا أو الدول الاستعمارية؛ بالإضافة إلى المواقف السياسية المشرّفة للجمهورية والمناهضة لهذه الدول كما هو واضح للجميع.

الملحق (٣): مسألة (الغزو الثقافي) ليست فقهية محضة

لم يبحث الفقهاء مسألة الغزو الثقافي تحت هذا العنوان، وإنما نجد في كتبهم عنوانًا يشير إليها وهو عنوان: (حفظ كتب الضلال ونسخها) وما شاكل ذلك من العناوين القريبة منه؛ يعني لم يبحث الفقهاء المسألة تحت عنوان مستقل وهو عنوان الغزو الثقافي وأحكامـه، ولم يكن بحثهم شاملًا لكل العناوين التي تقع تحته؛ بل اقتصر بحثهم على حكم كتب الضلال التي هي أحد العناوين التي تندرج تحت الغزو الثقافي أو ربما تُبحث أحكام بعض العناوين والوسائل الأخرى اليوم في المسائل المستحدثة أو يشار إليها في بعض الاستفتاءات هنا وهناك، لكن لم يتم التطرّق إلى المسألة في باب مستقل وتحت عنوان شامل ومتكامل، فقد كانت كتب الضلال هي الوسيلة الوحيدة المستخدمة في الغزو الثقافي في حينها، وقد جرت عادة الفقهاء أن يبحثوا هذه المسألة في كتبهم تحت هذا العنوان إلى هذا اليوم، والحال أنّ عنوان الغزو الثقافي أعم، ووسائله كثيرة، وهي متغيرة بحسب التقنيات والتكنولوجيا المستخدمة والتي تتغير بدورها أيضًا مع مرور الزمان وتصبح أكثر تعقيدًا يومًا بعد يوم. إلا أنه يُعلم حكم هذه الوسائل ونظائرها من خلال حكم كتب الضلال وملاك تحريمها على التفصيل الذي ذكره الفقهاء في كتبهم؛ إذ الملاك هو الضلال والفساد الذي يترتب عليها وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع، وقس على ذلك باقي الوسائل المستخدمة اليوم في الغزو الثقافي.

ثم إنّ مسألة الغزو الثقافي هي مسألة ثقافية دينية أكثر مما هي فقهية؛ أي أنها ليست فقهية محضة؛ لأنها يجب أن تُبحث من جوانب متعددة، وليست كلها على عاتق الفقهاء، فالكثير منها يقع على عاتق المثقفين والمبلّغين وأصحاب الفعاليات الثقافية والتخصصات العلمية الأخرى؛ فمن جانب: يجب أن يتم اكتشاف وسائل الغزو الثقافي وتبيين طبيعتها وخطورتها على الفرد والمجتمع والتحذير منها، وهي كما ذكرنا متغيرة بتغير الزمان، وكلما تقدم بنا الزمان كلما

تطورت هذه الوسائل وأصبحت أكثر خطورة وتعقيدًا، وهذا الأمر يتطلّب وجود متخصصين في مثل هذه الوسائل. ومن جانب آخر يجب الاهـتمام بتربية المجتمع الإسلامي لاسيما الناشئة والشباب تربية دينية ملتزمة، وهذا الأمر يتطلب وجود متخصصين يقومون بهذه المهمة، ويضعون البرامج والمناهج الخاصة بذلك، ومنها إيجاد البدائل المناسبة التي تملأ ذلك الخلأ الثقافي وتجذب الشباب المسلم وتجنّبهم الوقوع في شِراك تلك الوسائل المستخدمة لإفسادهم، وغير ذلك من الأمور التي تحصّن مجتمعنا الإسلامي من هذا الغزو؛ بالإضافة إلى الجانب الفقهي الذي هو أحد الجوانب المهمة التي يجب بحثها والذي يقع على عاتق الفقهاء أنفسهم.

لكن مع ذلك نقول إنه يجب أن تُبحث هذه المسألة (الغزو الثقافي) في باب مستقل وتحت عنوان جامع في الكتب الفقهية اليوم مثلها مثل غيرها من المسائل الفقهية الأخرى، ويتم بيان أحكامها بشكل تفصيلي مستدَلّ لا يبقى معه لُبس بالنسبة إلى المكلف، فإنّ المجتمع الإسلامي يتألف من طبقات ثقافية متعددة وأغلبه من العوام، فقد لا يتبادر إلى ذهن المكلف من عنوان (كتب الضلال) باقي العناوين المتعلقة بالغزو الثقافي ليقيسها عليه ويستنبط الحكم لوحده، وقد يجد في ذلك مبررًا للخوض في مثل هذه الوسائل والانغماس فيها والوقوع في الفساد.

الملحق (٤): المناعة الثقافية وآلياتها

المنطق الصحيح

إنّ كلا المنطقين والمسلكين - الانفتاح المطلق والانغلاق المطلق - خطأ؛ فالأول يؤدي إلى الاستعمار الثقافي ومنه إلى محو ومحق الدين والتبعية المطلقة في كل شيء. والثاني يؤدي إلى العزلة والتخلف والضعف بحيث يسقط الإنسان عند أول اختبار له أمام الثقافات الأخرى، فيصبح منفعلًا لا فاعلًا، وتكون النتيجة على كلا المنطقين واحدة. فالجمع بين المنطقين من خلال الانفتاح المقنّن هو الأنسب، فنسمح بما يوافق ثقافتنا الإسلامية ونمنع ما خالفها.

لكن تبقى إشكالية هنا؛ وهي أنّ الثقافة التي تأتينا من الغرب تعتمد على وسائل وأدوات متطورة لا نمتلك نحن المسلمون القدرة والإمكانية المتطورة لمنعها من الدخول إلى مجتمعنا واختراقه والوقوف في وجهها، وهي أمر واقع في حياتنا اليومية لا يمكن إنكاره مهما حاولنا تقنينها والحد منها وفرض الرقابة عليها، فما هو المَخرج من هذه المشكلة؟

المناعة الثقافية (المنبر نموذجًا)

إنّ المَخرج يكمن فيما عبّر عنه الشيخ﵀ بـ (الأمن الثقافي) أو (المناعة الثقافية)، ومن أهم مصاديق هذا الأمن والمناعة، هو الثقافة الإسلامية المتينة، فهنا يأتي دورها الأساس؛ إذ عندما يكتسب الإنسان، لاسيما الشباب في سنّ المراهقة، الثقافة الإسلامية الصحيحة المبنية على أسس صحيحة وقوية وضمن برامج هادفة ومحكمة وتتناسب مع العصر ومتطلبات ومقتضيات الزمان والمكان، حينئذ يأتي دور المناعة المكتسبة في التصدي لما لا يمكن التصدي له وفرض الرقابة عليه من الثقافات الأجنبية والتي لا تتوافق مع ثقافتنا الإسلامية. أما إذا كانت هذه الثقافة لدى شبابنا مجرد ثقافة تقليدية ورثها عن آبائه ومجتمعه الذي يعيش فيه، أو كانت بأدوات ووسائل وبرامج لا تتناسب مع

متطلبات المرحلة، فحينئذ لن يستطيع الوقوف في وجه تلك الثقافات الأجنبية والمعادية، وسوف يسقط عند أول اختبار أو مواجهة معها. واسمحوا لي أن أقول إنه وللأسف لم نصل إلى تلك المرحلة التي نتمكن فيها من بناء مجتمعنا الإسلامي بناء قويًا وممانعًا ضد هذه الثقافات المدمرة، فما زال المحتوى الثقافي الذي يتم تلقينه للشاب المسلم ضعيفًا لا يكفي ولا يرقى إلى مستوى متطلبات العصر، وما زالت الوسائل المستخدمة في إيصال هذه الثقافة تقليدية ومتأخرة. فلو أخذنا على سبيل المثال المنبر، فإن المنبر اليوم من أهم الوسائل التي يمكن الاستفادة منها في إيصال المعلومة وتثقيف المجتمع، وله جذور عميقة وضاربة في التاريخ، وكان له دور كبير في تنشئة مجتمع مقاوم وثوري، وهنا لا أقصد من المقاوم والثوري المعنى الاصطلاحي المتعارف؛ بل أقصد المقاومة على مختلف الصُّعد العسكرية والسياسية والثقافية، وتخرّج من تحت هذا المنبر شخصيات مثقفة لها دور فاعل في المجتمع... لكنه - أي المنبر - اليوم أصبح وسيلة تقليدية لا تتناسب مع الوسائل المستخدمة اليوم في الغزو الثقافي. هذا من حيث الوسيلة، أما من حيث المحتوى والمضمون والقيمة، فالمعلومات التي تُلقى من خلال هذا المنبر كذلك، فهي إما مكررة أو لا ترقى لمستوى تحصين المستمع والمتلقي بحيث تمكّنه من الوقوف في وجه الكمّ الهائل من الثقافة والشبهات التي تأتيه من الخارج، وأصبح المنبر مجرد مهنة وحرفة يمتهنها البعض مثله مثل أيّ موظف في شركة أو عامل يمتهن حرفة معينة؛ حيث يأتي الخطيب ليلقي محاضرته ضمن قالب معين وفي مواسم معينة ويأخذ أجره ويمضي، ولا يهمه بعد ذلك مدى الاستفادة التي حصلت للمتلقّي والمستمع ومدى التأثير الذي تركه؛ بل ربما في كل مرة يكرر هذه المعلومات وفي أكثر من مجلس وفي أكثر من مكان... لذلك نجد الشابّ اليوم لا يهتم للمنبر، وإذا اهتم فهو أمر ثانوي لديه ويذهب إليه لتحصيل الأجر والثواب أو لأمور أخرى جانبية، ويمكن استكشاف ذلك من خلال تحقيق ميداني بسيط وسؤال المتلقي بعد

انتهاء المحاضرة الأسئلة التالية: هل استفدت؟ وكم هي نسبة الاستفادة؟ وما هو رأيك بالمحاضرة؟ وما هي القيمة الإضافية التي أضافتها هذه المحاضرة إلى معلوماتك؟... بل إنّ الأمر لا يحتاج إلى تحقيق ميداني فهو أمر واقع معروف.

دفع شبهة

وهنا حتى لا تذهب أذهان البعض بعيدًا ويقوم بإخراجنا عن الملة ويتهمنا زورًا بأننا نسيء إلى المنبر أو أننا نريد إلغاء دوره، فإننا نقول إنّ مثل هذه النظرة وهذا النوع من التفكير وهذا التعصّب الأعمى هو الذي يمنع من التقدم في المجال الثقافي والتربوي، كما أننا نقوم بتوصيف واقعٍ لا يمكن إنكاره، وأيُّ إنكار أو تبرير لهذا الواقع يعتبر كذبًا وتضليلًا، ونتيجته العمل على فتح المجال أكثر فأكثر للغزو الثقافي ويصب في مصلحته من حيث ندري أو لا ندري من خلال البقاء في هذه البوتقة وهذا الوهم. أضف إلى ذلك أننا لا نريد أن نلغي دور المنبر حاشا وكلا؛ بل يجب أن يبقى المنبر ويبقى دوره، لكننا نريد للمنبر أن يعود إليه وهجه وألقه ودوره الذي فقده، لكن تبقى المسألة المهمة في كيفية وآلية ذلك!

آليات استرجاع وتحسين دور المنبر

إن الكلام عن آليات استرجاع وتحسين دور المنبر بحث آخر له شجون ولا يتسع له المقام، وهو يرجع إلى أهل الاختصاص والمتصدّين لهذا الشأن، لكن نقول باختصار:

إنّ أهم مسألة فقدها المنبر هي الإخلاص، وأنا أعني ما أقول وهو أمر واضح وملموس، كما أنه يجب على الخطيب أن يخرج عن الحالة التقليدية للخطاب، وأن يختار المواضيع التي تتناسب مع متطلبات العصر والأحداث التي تجري اليوم، ويعمل على ربط الماضي بالحاضر واستخلاص العِبَر إلى غير ذلك من أمور تساعد على جذب المتلقي والمستمع وتحقيق الفائدة، والابتعاد عن الكذب

وعرض المنامات والأحلام... وأن يخاطب عقول الشباب بالإضافة إلى مخاطبة قلوبهم وعواطفهم، وكل ذلك يعتمد على مقدمات مهمة جدًا، وعلى أصحاب الاختصاص العمل عليها.

نماذج يُحتذى بها

وهنا نذكّر بأن لدينا نماذج لا يستهان بها من الخطباء وأصحاب المنابر يُحتذى بها، وكانت لهم مدرسة خاصة وتأثير كبير في المجتمع، فلماذا لا تتم الاستفادة منهم ومن مدرستهم؟! فعلى سبيل المثال المرحوم الدكتور العلامة الشيخ الوائلي رحمه الله، فقد لُقب بـ (عميد المنبر الحسيني)، وقد جاء بخطاب جديد في زمانه، وكان له تأثيره الفعال في المجتمع، وكان يهتم بالقضايا المعاصرة ويطرح الحلول لها، وكان موسوعة في الأدب والثقافة العامة والتخصصية... فلماذا لا تتم الاستفادة منه ومن مدرسته ويتم إنشاء مدرسة في الخطابة باسم مدرسة عميد المنبر الحسيني يُدرّس فيها نهجه وطريقته؟! ولو ادعى البعض أنه تم إنشاء مثل هذه المدرسة، نقول أين هي؟ وأين آثارها؟

ولدينا اليوم العلامة الشيخ محسن قراءتي الذي أبهر العالم بطريقته وخطابه المعاصر في التفسير؛ حيث إنه يخاطب عقول الشباب ويؤثر فيها، ولا نجد له نظيرًا في طريقته وشدة تأثيره، فلماذا لا يتم إنشاء مدرسة لتدريس نهجه والاستفادة من طريقته؟! وغيرهما من الخطباء والمنبريين الذين لا مجال لذكرهم هنا... إذًا؛ لدينا خطباء فطاحل يُعتمد عليهم ولهم دورهم وتأثيرهم، لكنهم قلّة في مجتمع تكاتف وتكاثر عليه الأعداء.

وقِس على ذلك باقي الوسائل المستخدمة في تثقيف المجتمع؛ كالمسجد والدورات الثقافية والمدارس والرحلات الترفيهية و...

لا منافاة بين المناعة الثقافية والعلم

هناك مغالطة يطرحها البعض وهي أنه إذا عملنا على فرض رقابة ومحدودية على الثقافة المستوردة من الغرب، فإننا سوف نحرم أنفسنا من الاطلاع على الحضارات الأخرى، ونحرم أنفسنا وأجيالنا من الحصول على العلوم المتطورة والاستفادة من التقنيات والتكنولوجيا والحداثة و... وسوف نبقى نحن في صلاتنا وصيامنا ونبقى متأخرين ومتخلفين عنهم...

والجواب أنّ هذا الكلام مجرد مغالطة طرحها نفس المصدّرين للثقافة المعادية ومَن تأثر بهم من أمتنا؛ والهدف من ذلك الوقوف في وجه أي نشاط أو إجراء يعمل على الحدّ من هذه الثقافة المستوردة من خلال طرح هذه الشبهة وسط العوام من الناس الذين تأثروا بها فعلًا وصدقوها، وأخذوا يشيعونها في المجتمع وروّجوا لها إلى درجة أنه أصبح الحدّ من الفساد والتفسخ الأخلاقي أو حتى الكلام فيه يعتبر تخلفًا ورجعية.

مَن قال أنّ فرض حدود وقيود على الثقافة المستوردة يمنع من الاستفادة من العلوم الحديثة والتطور والتكنولوجيا والحداثة؟! هذا خلط في المفاهيم، وهنا نسأل ما هو مقصودكم من التطور والحضارة والحرية وغيرها من المفاهيم المغرضة التي يتم طرحها في الساحة؟ هل التفسخ والتعري والفساد الأخلاقي وانتفاء القيم والغيرة في المجتمع و... يُعتبر من التطور والحضارة؟! ثم إننا نقصد من الحد من الثقافة المستوردة هو منع ما يخالف ثقافتنا والسماح بما يوافقها، والعلم والتطور والتكنولوجيا لا تتنافى مع ثقافتنا الإسلامية؛ بل الإسلام يشجع عليها، وأكثر ما يشجع عليه الإسلام هو العلم، كيف لا! ونحن نقول بضرورة قيام دولة إسلامية في زمن الغيبة، والدولة الإسلامية بحاجة ماسة إلى وسائل متطورة وتكنولوجية حديثة لكي تلبّي هذه الدولة احتياجات شعبها ولتكون قوة عظمى في مختلف المجالات حتى لا يتعدّى عليها الآخرون، والتجربة أثبتت

أنّ الدين لا يتنافى مع العلم والتطور، وخير مثال لذلك الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فهي دولة إسلامية قائمة على مبادئ وأسس دينية محضة ومع ذلك وصلت في مراحل علمية وتقنية متقدمة ومتطورة وبخبرات محلية، وأصبحت من الدول العظمى والإقليمية في العالم وحصلت على رتبة علمية متقدمة. وهكذا الأمر عندما يظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالدولة العالمية التي يريد أن يقيمها لابد أن تؤمّن جميع احتياجات الأمة القاطنة على كوكب الأرض، وسوف تكون أكبر وأعظم وأقوى دولة نشأت على وجه الأرض منذ خلق آدم، ولابد حينئذ أن يستفيد الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف من جميع الإمكانات والثروات والكنوز التي سخّرها الله تعالى للإنسان على الأرض والتي لا يزال الكثير منها مخبوءًا على الرغم من كل هذا التطور الذي وصلت إليه البشرية، ومَن أفضل وأعلم من الإمام المعصوم لاكتشافها واستخراجها واستثمارها؟! وهذا بخلاف ما يروّج له البعض عن الدولة المهدوية، فيعطي عنها صورة الدولة الإرهابية المتخلفة التي ترجع بالبشرية إلى زمن الجاهلية والتخلّف.

لزوم السعي للاستقلال العلمي

إذًا؛ لا مانع من الاستفادة من التقنيات والوسائل المتطورة في العالم حتى لو كانت من الغرب، فهذا شيء ومنع دخول الثقافة المعادية والفساد الأخلاقي إلى بيوتنا للمحافظة على ثقافتنا شيء آخر، لكن في نفس الوقت لا يجب أن نبقى تابعين للآخرين حتى في التقنيات والتكنولوجيا؛ إذ يجب أن نصل في مرحلة ما إلى حد الاكتفاء والاستفادة من الخبرات المحلية وقطع حاجتنا للآخرين، وإلا سوف يسيء العدو إلينا وسوف يعتبر ذلك نقطة ضعف يسيء الاستفادة منها ويقوم بابتزازنا من خلالها، وسوف يكون ذلك منفذًا له لتحميل ثقافته وكل نفاياته علينا كما تقدّم بيانه، وبالتالي نعود إلى نقطة الصفر بل تحت الصفر، وأوضح مثال لذلك ما يحصل اليوم في بعض الدول العربية والإسلامية؛ حيث استفادت من التكنولوجيا الغربية لكنها أصبحت تابعة تمام التبعية لها،

فاستغل الغرب نقطة الضعف هذه وفرض أجنداته عليها حتى الثقافية، وأصبح مسلطًا عليها بالكامل، ويتحكم بجميع مفاصلها وقراراتها المصيرية على الرغم من أنه لا يحتلها عسكريًا؛ بل هو لم يعد بحاجة إلى ذلك أصلًا؛ لأنه حصل على النتيجة التي يريدها من الحرب وبأقل الخسائر أو صفر خسائر، فلماذا الحرب؟!

وهذا الاستقلال الذي تحدثنا عنه هو الذي يريده الإسلام وبقوة ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1]، وهو ما أكد ويؤكد عليه كبار قادتنا لاسيما سماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي ﷺ باستمرار وفي كثير من المناسبات.

١. النساء: ١٤١.

فهرس المصادر

١. **القرآن الكريم**.

٢. الأنصاري، مرتضى بن محمد أمين، **كتاب المكاسب**، قم - إيران: دار الذخائر، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ ق.

٣. الخامنئي، علي الحسيني، **الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي**، قم - إيران: دار الوفاء للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢ م.

٤. الخامنئي، علي الحسيني، **الثوري الأمثل في فكر الإمام الخامنئي**، تصحيح وتدقيق: حسين اليوسف، قم - إيران: دار الوفاء للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، ٢٠٢٣ م.

٥. الخامنئي، علي الحسيني، **النهضة البرمجية في فكر الإمام الخامنئي**، تصحيح وتدقيق: حسين اليوسف، قم - إيران: دار الوفاء للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، ٢٠٢٣ م.

٦. الخميني، روح الله الموسوي، **النداء الأخير (الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني قدس سره)**، طهران - إيران: مؤسسة حفظ ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره، الطبعة العاشرة، ٢٠١٤ م.

٧. قاسم، نعيم، **الولي المجدد**، بيروت - لبنان: دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى: ٢٠١٤ م.

٨. النجفي، محمد حسن، **جواهر الكلام (ط - حديثة)**، قم - إيران: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي على مذهب أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ق.

إصدارات مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي ﷺ

سلسلة المقاومة في فكر العلامة الآصفي:

١. فصول المقاومة
٢. الوعد الصادق، دلالات ودروس انتصار حزب الله على إسرائيل
٣. مقاومة الاحتلال الإسرائيلي
٤. النصر الإلهي ومنهج التعامل مع الأعداء
٥. التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية
٦. الجهاد بين الرحمة والعنف

سلسلة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي:

١. قصة الغارة الحضارية على العالم الإسلامي
٢. الأخطار التي تهدد ثقافتنا
٣. أزمة المسلم المعاصر بين التراث والمعاصر
٤. محنة المسخ الحضاري والموقف الشرعي من الغزو الثقافي **(هذا الكتاب)**

كتب متنوعة:

١. شرح دعاء الأسحار
٢. الثقافة القيادية والإدارية في القرآن والسنة

يجب أن نكافح عقدة الضعف في حياتنا، ونعمل المستحيل للقضاء على هذه العقدة في نفوسنا، وما دمنا نعيش نحن عقدة الضعف، فلن نستطيع أن نقدِم على شيء، وقبل كل شيء يجب أن نقدِم على هذه العملية الجراحية في أعماق نفوسنا وضمائرنا حتى لا نشعِر بالضعف والحقارة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِم﴾.

مؤسسة حفظ ونشر
تراث الشيخ الآصفي رحمه الله